منظور ابن الخطيب التاريخي من خلال كتابه أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام

د.نوال فرحان محمد الخالدي

أستاذ مساعد بشعبة التاريخ - قسم الدراسات الاجتماعية – كلية الآداب

جامعة الملك فيصل – المملكة العربية السعودية

0s-khaldi@hotmail.com

الملخص:

يتلخص البحث في دراسة تحليل ابن الخطيب للأحداث التاريخية من خلال كتابه أعمال الأعلام فهو في التاريخ الإسلامي العام تناول فيه جميع من اعتلى الحكم وهو ولم يبلغ سن الحلم من (ق ١ – ق٨ ه) ، و ارتبطت فكرة الكتاب ومنظور مؤلفه بدوافع تأليفه حيث كان ابن الخطيب لاجئاً لدى السلطان (الصبي) المريني أبي زيان محمد السعيد و وصيه بن غازي فألف الكتاب مجاملة لهما ، و استحضر من أجلها التجربة الأندلسية في عصر الخليفة هشام المؤيد ووصيه محمد بن أبي عامر الذي كان عصره من أقوى وأزهى عصور الأندلس ليدلل على أن تولي الصبية لا يعيق ازدهار الدول ، وحاول إضفاء الشرعية عليهم فاستشهد بنماذج من العصر الأموي لقربه من عصر الرعيل الأول. كما تتبع العلماء في تلك العصور الذين انصرفوا إلى الإنتاج العلمي دونما غضاضة لكون سلطانهم صبياً. وحلل ابن الخطيب الأحداث بناء على منظور سياسي وقد عُرض في البحث جملة من الأحداث التي يفسرها تفسيراً سياسياً نابعاً من شخصيته كوزير و طبيعة تفكيره ، أو بمنظور ديني اصطبغ ببعض الميول الجبرية و كان ظهور هذا المنظور الديني لينفي عن نفسه ما الصق به من تهم كالزندقة .

كلمات مفتاحية باللغة العربية: ابن الخطيب- منظور - الاندلس - أعمال - الاعلام

المقدمـــــــة:

تعد دراسات المنظور لمصادر التاريخ من الموضوعات المهمة التي تناولتها البحوث الحديثة ؛لأنها تكشف عن الفكر التاريخي لدى المؤرخين المسلمين ، و الأسباب التي دفعتهم إلى التأليف في موضوعاتهم المختلفة، ولهذا رأى عدد من الدارسين المهتمين بالتاريخ الإسلامي ضرورة الاعتناء بهذا الجانب من الدراسات العلمية لمعرفة توجههم الفكري ومنابعه ومظاهره التي بدت في تفسيرهم للمعلومات الواردة في كتبهم حتى يستطيعوا دراسة التاريخ دراسة علمية . ولعل من المهم الاعتناء بلسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦ه/ ١٣٧٤م) الذي لم يكن مؤرخاً فحسب ؛ إنما هو قامة باسقة أثرى المكتبة العربية بمؤلفاته المتنوعة في التاريخ، والأدب ، والشعر ، والسياسة ، والتصوف، والشريعة ، والطب ، وعلم الحيوان ، والتي بلغت زهاء ستين مصنفاً ، ولما كان الرجل قد صنف كتابه (أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام) وهو في منفاه بالمغرب حيث أمضى سنواته الأخيرة ؛ فإن من المهم الكشف عن توجهه الفكري ورؤيته التاريخية خلال تلك المرحلة الأخيرة من عمره ومن ثم رصد مظاهر الاختلاف والتجديد في إنتاجه العلمي خلال تلك المرحلة . ومن ثم يشكل البحث للمنظور التاريخي في كتاب (أعمال الأعلام) موضوعاً مناسباً لهذا الغرض لا سيما وأن الكتاب هو المصنف الوحيد لابن الخطيب الذي تناول فيه تاريخ الإسلام بصورة عامة ، بل إنه أول كتاب في التاريخ الإسلامي انفرد بتتبع ظاهرة السلاطين الذين اعتلوا سدة الحكم وهم دون سن الحلم . وطالما أن فكرة الكتاب متفردة في موضوعاتها ؛ فإنه من الأهمية بمكان بحث الفكرة في ذهنية ابن الخطيب ، والسعي إلى معرفة الدوافع التي جعلته يعنى بدراسة موضوع كهذا ، أكان رائدة في ذلك دافعاً علمياً محضاً ، أم أن الظروف السياسية التي انغمس فيها جعلته يتكسب بفكره وقلمه ، والتحقق حول ما إذا كان ابن الخطيب نفذ إلى قراءة التاريخ الإسلامي من خلال هذه الفكرة بشكل مماثل لما فعله غيره من مؤرخي الإسلام ، أم امتاز عنهم في أشياء ، إضافة إلى الاهتمام باستجلاء جوانب النظرية العلمية في هذا المصدر التاريخي الفريد من نوعه .

التعريف بالمؤلف:

نسبه ومولده ونشأته : هو محمد بن عبدالله بن سعيد بن أحمد السلماني ، يكنى أبو عبدالله ويلقب بلسان الدين ابن الخطيب ، وهو من الألقاب المشرقية ، ولم تذكر المصادر متى وكيف اتخذ لنفسه هذا اللقب([1]) ينحدر لسان الدين ابن الخطيب من أصول عربية صميمة فهو من مراد من عرب اليمن القحطانية، ولد بمدينة لوشة([2]) ، وبالتحديد في يوم الخامس من شهر رجب سنة (٧١٣ه/ ١٣١٤م)([3])،أما نشأته فكانت في كنف أسرة ذات شرف وجاه واشتهر بعض أفرادها بالنبوغ في الأدب والعمل في السياسة منهم جده الأعلى سعيد بن علي الذي وصف بأنه من أهل العلم والخير والصلاح والدين والفضل والذكاء والفطنة ،وكان يعمل خطيباً بمسجد لوشة ، كما اشتهر جده الأدنى سعيد بن علي بالمزايا

([1]) ابن الخطيب ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد (ت ٧٧٦ه) : **الإحاطة بأخبار غرناطة** ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤ه) ، ج٤، ص٣٧٤

([2]) لوشة : مدينة بالأندلس غربي مدينة ألبيرة تقع على نهر شنيل بغرناطة وتشتهر بمعدن الفضة وتكثر بها الزراعة ؛انظر : ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله الحموي (ت ٦٢٦ه): **معجم البلدان** ، (بيروت :دار صادر ، د.ت) ،ج٥، ص٢٦

([3]) المقري ، أحمد بن محمد التلمساني (١٠٤١ه) :**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تحقيق إحسان عباس ، (بيروت :دار صادر ، ١٣٨٨م)، ج١، ص ١٤٨

العلمية والحظوة والمكانة في غرناطة حيث عمل عند بني الأحمر ، وعرف أهله (ببني وزير)([1])، ولعل هذه الشهرة تدل على أن كثيراً من شخصيات أهل هذا البيت عملوا في سلك الوزارة ، أو تقلدوا مناصب عالية في الدولة . كما كان والده ملماً بالأدب وخاصة الشعر ، ويعد من أساتذة ابنه([2]).

بدا ابن الخطيب في طلب العلم هو في مقتبل العمر ، فشرع بحفظ القرآن الكريم وتجويده كما جرت العادة عند أهل الأندلس ؛ ومن تعلم الحديث والتفسير والنحو واللغة والفقه ، وتلقى العلوم على أيدي أقطاب القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي([3]) .

مناصبه وأعماله :

كان ابن الخطيب يمتلك موهبة صناعة الإنشاء والأدب ، فقلده السلطان أبو الحجاج يوسف (٧٣٣-٧٥٥ه/ ١٣٣٣- ١٣٥٤م) رسم الكتابة([4]) والوزارة سنة (٧٤٩ه/ ١٣٤٨م) واحتفظ بوزارة القلم والسيف إلى سنة (٧٧٣ه/ ١٣٧١م) ، حيث فر هارباً بعد وشاية من بعض الوزراء لسلطانه الغني بالله (٧٥٥- ٧٦١ه/ ١٣٥٤-١٣٥٩م) و (٧٦٣-٧٩٣ه/ ١٣٦١-١٣٩٠م)إلى المغرب عام (٧٧٣ه/ ١٣٧١م) ([5])،

وفي أثناء وزارته تلك قام بسفارة إلى بلاط الدولة المرينية في المغرب ([6])، فضلاً عن أنه كان مستشاراً لسلطان غرناطة ، كما منحه الأخير صلاحيات

واسعة في إدارة شئون البلاد .كما عقد معاهدات مع قشتالة (Castilla)([7])و أراغوان(Aragon) ([8]) باسم غرناطة و فاس في سعي منه لتوحيد السياسة الخارجية لكلاً من البلدين الأندلس والمغرب([9]).

وفاته :

([1]) ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج٤، ص٣٧٤

([2]) المقري ، **نفح الطيب** ، ج١، ٢٩

([3]) ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج٤، ص٣٨٦- ٣٨٧

([4]) المقري ، **نفح الطيب** ، ج٦، ص١٢٦

([5]) ابن الخطيب ، محمد بن عبدالله(ت ٧٧٦ه) : **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** ، تحقيق ليفي بروفنسال ،(بيروت :دار المكشوف،١٩٥١م) ، ج٢،ص٣١٧ -٣١٨

([6]) ابن خلدون ، عبدالرحمن (ت ٨٠٨هـ) : **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،(بيروت : دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م)، ج١٣ ، ص ٦٣٧، ٦٣٨-٦٣٩

([7]) قشتالة (Castilla) : إحدى الممالك النصرانية التي قامت في شمال إسبانيا ، توسعت على حساب المسلمين وصارت من أكبر ممالك الإسبان وأكثرها محاربة للمسلمين في غرناطة ؛ انظر : ليفي بروفنسال ، **تاريخ إسبانيا الإسلامية** ، ترجمة علي عبد الرؤوف وعلي إبراهيم ، (القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠م) ، ص ٤٧

([8]) أراغوان(Aragon): من الإمارات الإسبانية الصغيرة التي تأسست في فترة ضعف المسلمين ، وقد اتحدت مملكة برشلونة مع مملكة أراغون عام (٥٣٢هـ/ ١١٣٧م) ، وكانت ترتبط مع بقية الممالك الإسبانية بعلاقات مد وجزر على حساب المصالح فيما بينها ؛ انظر : ليفي بروفنسال ، **تاريخ إسبانيا الإسلامية** ، ص ٤٩

([9]) المقري ، **نفح الطيب** ، ج٢، ص ٥٦٠-٥٦٣ ؛ اميلوغرسيةغومث ، **مع شعراء الأندلس والمتنبي (سير ودراسات)** ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ،(د.م : دار المعارف ، ١٩٨٥م) ،ص١٦٠

عاش ابن الخطيب في المغرب من عام (٧٧٣ه/ ١٣٧١م) إلى حين مقتله عام (٧٧٦ه/ ١٣٧٤م) ([1]) .

مؤلفاته:

ترك ابن الخطيب تراثاً علمياً متنوعاً في الشريعة و التاريخ والأدب والسياسة والطب وعلوم الحيوان والتصوف والتراجم ، حتى إن مصنفاته بلغت نحواً من ستين كتاباً منها على سبيل المثال الإحاطة في أخبار غرناطة ، اللمحة البدرية ، والكتيبة الكامنة ، وأعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، وروضة التعريف بالحب الشريف ، ورسالة تكوين الجنين ([2]) .

فكرة الكتاب ودوافع تأليفه:

تمحورت فكرة الكتاب حول ظاهرة ملموسة في تاريخ الأسر الحاكمة في العالم الإسلامي ، وتلك الظاهرة هي البيعة لصبي صغير بالحكم أو بولاية العهد ، وتؤول السلطة الفعلية عادة إلى كفيل ؛كالوزير أو الوصي ، ورغم أن بعض فقهاء المسلمين أفتوا بعدم جواز ولاية الصغير([3])إلا أن تكررها في العالم الإسلامي هو الذي حدا بابن الخطيب أن يبرز هذه القضية ويجسدها في كتاب فهو أول من تحدث عن المسألة فيما نعلم ، ولا يبدو أن أحداً من قدامى المؤرخين المسلمين تصدى لبحثها . وقد استمد ابن الخطيب نظرته من أعماق التاريخ الإسلامي ، حيث أتى بنماذج لخلفاء وسلاطين وولاة عهد لم يبلغوا سن الحلم ، بويعوا بالولاية أو ولاية العهد في القرن الأول الهجري وهو القرن الذي عاصر طائفة كبيرة من الصحابة والسلف الصالح .

وارتبطت فكرة الكتاب بالفترة الزمنية التي ألف فيها ؛ حيث كان مابين سنة (٧٧٤-٧٧٦ه/١٣٧٢-١٣٧٤م) وهي فترة عهد السلطان (الصبي) المريني أبي زيان محمد السعيد بن عبد العزيز المريني ، ووزيره أو وصية أبو بكر بن غازي (ت ٧٨١ه/ ١٣٧٩م) ([4]) ؛ وهذا هو الدافع الذي جعل ابن الخطيب يؤلف الكتاب مجاملة للسلطان ووزيره، لأنه كان لاجئاً عند بني مرين بفاس ، هارباً من خصومه وأمرائهم بغرناطة ؛ الذين ما فتئوا يدسون له الدسائس ، ويستكثرون من جمع التهم ضده ، ويوغرون صدر السلطان محمد الغني بالله ابن الأحمر (٧٦٣- ٧٩٣ه/ ١٣٦١-١٣٩٠م) عليه ، ويكيدون له المكائد ، ويحرضون عليه الوزير ابن غازي بالترغيب تارة ؛ وبالترهيب تارة أخرى لتسليمه ولكنه في كل الحالات يرفض بشدة متمسكاً بوفائه لابن الخطيب ([5]).

لقد صرح ابن الخطيب في أكثر من مناسبة في الكتاب بأن دافعه الرئيسي من التأليف هو تأييده للسلطان المريني أبي زيان والوزير بن غازي ؛ فهو يعلل إطالته مثلاً فيما اختص بدوله هشام بن الحكم المؤيد بالله

([1]) المقري، **نفح الطيب** ، ج ٥، ص١١٠-١١١

([2]) ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج٤ ، ص ٣٨٨ -٣٩٠

([3]) انظر أدناه ، ص ١٣-١٤

([4]) الناصري السلاوي ، أحمد بن خالد(ت ١٣١٤م) : **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، (الدار البيضاء : دار الكتاب ، ١٤١٨م) ، ج٤ ج٤ ، ص٢١

([5]) المقري ، **نفح الطيب** ، ج٧، ص ٤٦-٤٧

وكافله المنصور بن أبي عامر إياه ، إلا لكونه أشبه الأحوال بما نحن فيه من جهة اتفاق العلماء على مبايعة صبي لم يبلغ الحلم ، وفي قطر يقتدي الناس بأعلامه ([1]) .

و خص ابن الخطيب الوزير أبي بكر بن غازي بالمدح والإشادة بدوره العظيم في حماية البلاد ، وقهر أعدائها وذلك بعبارات كثيرة وصل بعضها إلى حد المبالغة مثل صان الحريم والأولاد ، وحفظ البلاد والعباد ، وأقام الحج والجهاد ، وهو الحسام الذي فتح جبال الغرب وصحاري الشرق([2]) .

وهذا يؤكد أن الدافع الرئيسي هو المجاملة للسلطان ووزيره ؛ وأن ابن الخطيب قد صنف كتابه هذا خدمة لبلاط بني مرين ، ناهيك على أن العلاقة بين ابن الخطيب والوزير بن غازي قد كانت قائمة قبل تولي السلطان الصغير ووزيره مقاليد الحكم في البلاد ، حيث كان لابن الخطيب حضوره الكبير في مجلس من العلماء والفضلاء أقامه الوزير ضمن محاولاته الحثيثة لكسب تأييد رجال الدولة وأهل الحل والعقد بتولية أبو زيان السعيد المريني مقاليد الحكم في الدولة المرينية (٥٩٢-٨٧٥ه/١١٩٦-١٤٧٠م) ([3]) ، والجدير بالذكر أن الوزير دافع عن موقفه محتجاً بما وقع في التاريخ الإسلامي من شواهد مماثلة ([4]) .

كان لحجة الوزير أثر بالغ في أهل المجلس ، إذ استطاع أن ينال تأييدهم ([5]). وخلال ذلك الاجتماع تساءل تساءل الوزير بن غازي (ت ٧٨١ه/ ١٣٧٩م) عما إذا كان ابن الخطيب قد اطلع على نظائر مماثلة لذلك المشهد السياسي في بلاط بني مرين ؛ من خلال معرفته بحقائق تاريخ الإسلام أم لا ([6]) ، وقد فهم ابن الخطيب أن تسأل الوزير بن غازي المشار إليه ؛ إنما هو دعوة مفتوحة لتأليف كتاب في هذا الجانب ([7]) ، ، فكان ذلك سبباً مهماً في تأليفه الكتاب على أن المجاملة للسلطان المريني ووزيره بن غازي لم تكن هي الدافع الوحيد لفكرة الكتاب – وإن كانت هي الأهم – فثمة دوافع أخرى مختزلة في ذهن ابن الخطيب أثرت عليه عندما كان يؤلف كتابه؛ ومن بينها الفترة التي عاشتها الأندلس في ظل حكم هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩ه/ ٩٧٦- ١٠٠٨م) ، وحاجبه المنصور محمد بن أبي عامر (تلك الفترة التي تميزت بالقوة والازدهار) ([8])

فاستحضرها في خطبة كتابه وذلك عندما أورد محاورة بين الفقيه أبي عبدالله بن ابن الفخار القرطبي ([9]) (ت ٤١٩/١٠٣٩م) الذي كان مؤيداً لهشام ،وبين الأمير أبي الحكم منذر بن يحيى التجيبي([1]) أمير الثغر

([1]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٢، ص٨٣

([2]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٢، ص٣٢٠ -٣٢١

([3]) ابن الخطيب ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد (ت ٧٧٦ه): **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** ، تحقيق سيد كسروي ،(بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م) ، ج١ ، ص٣٤-٣٥

([4]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص٣٥

([5]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص٣٦

([6]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص٣٦

([7]) ابن الخطيب ، **أعمال**، ج١، ص٣٦

([8]) ابن عذاري، أحمد بن محمد (ت ٧١٢ه) ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق جورج كولان وليفي بروفنسال ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م) ، ج٢ ، ص٢٧٨، ص٢٩٩ ؛ المقري ، **نفح الطيب** ، ج١، ص٣٩٧-٣٩٨

([9])هو الفقيه محمد بن عمر بن يوسف المالكي يكنى أبا عبدالله ويعرف بابن الفخار ،عالم وفقهيه من أهل قرطبة ، رحل إلى المشرق فأدى فريضة الحج وزار مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فالتقى بعلمائها وأخذ عنهم وأفتى بها ، كان عارفاً بمذاهب الأئمة الأربعة توفي ببلنسية سنة (٤١٩ه) . انظر : ابن بشكوال ، أبو

الأعلى في الأندلس([2]) الذي كان يدعو إلى سليمان بن الحكم (المستعين بالله) ([3]) (٤٠٠ه/١٠٠٩م) و(٤٠٣- ٤٠٧ه/ ١٠١٢-١٠١٦م) ، و إذا قال ابن الفخار : " **أنشدك الله يا أبا الحكم لو أنك في جماعة حضرتهم صلاة مكتوبة وفيهم هذان الرجلان سليمان وهشام من كنت وليته الأمر ، وأيهما كنت تولي الصلاة ، فقال له منذر : أبيت إلا جهلاً هشاماً والله كنت أقدامه للمحراب ، وسليمان والله كنت أرفعه إلى سرير الملك ، فليس هذا مكان مسائل المدونة يا فقهيه إنما هو مكان السيف الذي ليست بعده بقيه** " ([4])، فابن الخطيب استاء من موقف منذر بن يحيى بقوله :**"ويغفر الله لأبي الحكم منذر بن يحي لما تناظر مع الفقيه** "([5]) لأنه اختلف مع توجه ابن الخطيب في منظور كتابه وذلك عندما رفع الأمير سليمان بن الحكم إلى منزله الولاية ، وقلل من شأن هشام المؤيد؛ لأن المكان – في رأيه – ليس لإمامة جماعة في صلاة وينته الأمر ، إنما هو مكان السلطة ومواجهة الخصوم ، وتيسير شؤون الحكم ، وهو ما عبر عنه منذر بن يحيى بمكان السيف .

وتجلى استحضار ابن الخطيب للتجربة الأندلسية في ثنائه الشديد على مدينة قرطبة ؛أيام الحاجب المنصور بن أبي عامر ومكفولة الخليفة الصبي هشام المؤيد (٣٦٦- ٣٩٩ه/ ٩٧٦- ١٠٠٨م) ، حيث ذكر أن الحاجب نشر العدل ، وأقام شرائع الدين ، وحمى حياض المسلمين ، واهتم برقي البلاد([6]) ، وفي ذلك تأييد واضح لتجربة الوصي والصبي في الأندلس ، وتشجع على استنساخ التجربة الأندلسية في المغرب ، وعلى تبديد مخاوف أهل الحل والعقد أو توجسهم من أن تؤول مقاليد الأمور إلى رجل من خارج الأسرة الحاكمة .

لم يقتصر ابن الخطيب عند استحضار التجربة الأندلسية على تبيين وجهها الإيجابي في ظل الوصاية ؛ وإنما التمس بعداً آخر فيها وهو الجانب السلبي ؛ فهو يعتبر أن بداية المصيبة بالأندلس هي في بداية الثورة على الأوصياء وتمني زوالهم ، وذلك بسبب ما آل إليه حال قرطبة عندما ثار الأندلسيون على الوصاية العامرية ، فيصور ابن الخطيب ما حل الأندلس من تخريب بعد زوال الأوصياء بقوله :" **وكيف ذهبت**

القاسم خلف بن عبد الملك ، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم و فقهائهم وأدبائهم** ، نشره عزت العطار الحسيني ، ط٢ ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٤ه/ ١٩٩٤م) ، ص ٤٨٣-٤٨٤.

([1]) أبو الحكم منذر بن يحيى التجيبي كان جندياً ثم ارتقى إلى القيادة في آخر دولة ابن أبي عامر ، بسبب ما عرف عنه من فروسية وشجاعة ، ثم وصل الأمر به إلى الإمارة ؛ فتقلد إمارة الثغر (سرقسطة) ، توفي سنة (٤٣٠ه) .انظر : ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج٣ ، ص ٢١١-٢١٦.

([2]) يقصد بالثغر الأعلى المناطق الشمالية المجاورة لحدود الممالك النصرانية وتشمل سرقسطة ووشقة وقد حكمتها الأسرة التجيبية . انظر ، الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧ه): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٤٨م) ، ص ٩٤،ص ٣٠٨.

([3]) سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر لدين الله فنال الخلافة سنة (٤٠٠ه) واتخذ لقب (المستعين بالله) ، كان أديباً وشاعراً ، اشتكت الرعية في عهده من تسلط البربر على سلطته وتدخلهم في الحكم ، مات مقتولاً على يد علي بن حمود سنة (٤٠٧ه) .انظر : ابن الخطيب ، **الإحاطة** ، ج٤، ص ٢٢٧-٢٢٨

([4]) ابن الخطيب ، **أعمال** ،ج١ ، ص ٣٥

([5]) ابن الخطيب ، **أعمال** ،ج١ ، ص ٣٥

([6]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٢، ص ١٠٤

سعادتها بذهاب سعده ، و انجز لها الدهر كالئ وعده ؛ فحالت أحوالها ، وتغير جمالها ، وشعت عن العورات اسمالها ([1]).

ولكن هذا الرأي يخالفه ابن حيان (ت ٤٦٩ه/ ١٠٧٧م) الذي فسر سبب سقوط الدولة الأموية (١٣٨-٤٢٢ه/ ٧٥٥- ١٠٣٠م) بالأندلس بمبايعة الحكم المستنصر (٣٥٠- ٣٦٦ه/ ٩٦١- ٩٧٦م) لولده من بعده بالخلافة ؛ وهو صبي لم يبلغ الحلم ، ولا دراية له بشؤون الإمامة والخلافة ، وتجاوز ثلاثة من إخوته البالغين مبلغ الرجال ، وهم(عبد العزيز ، و الأصبغ ، والمغيرة) ،إلى ابنه الصغير هشام ([2]) .

إذاً ؛ تبدأ المشكلة عند ابن حيان من ولاية الصبي ، بينما تبدأ عند ابن الخطيب من الثورة على الوصي والصبي معاً. وقد حاول ثلة من الباحثين ([3]) إلقاء الضوء على هذا الموضوع والخروج بتفسيرات لأسباب سقوط الدولة الأموية (١٣٨-٤٢٢ه/ ٧٥٥-١٠٣٠م) بالأندلس، ووصلوا إلى أن هناك جملة من الأسباب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية ؛أدت إلى السقوط إلا أنهم ركزوا على العامل السياسي ؛ المتمثل في سطوة الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر (٣٦٦- ٣٩٢ه/ ٩٧٦- ١٠٠٢م) واستقلاله بشؤون الحكم ، ناهيك عن بعض الإجراءات والتدابير التي اتخذها لمنع الخليفة من ممارسة حقه في السلطة الشرعية ، بذلك يتفقون مع ما ذهب إليه كل من ابن الخطيب ، وابن حيان (٤٦٩ه/ ١٠٧٧م) في أن العامل السياسي كان هو العامل الرئيسي في السقوط رغم اختلافهما في تحديد الطرف المسئول عن سقوط الدولة ، فينما رأى ابن حيان أن الأسرة الأموية لا سيما الخليفة الحكم المستنصر هو من البذرة الأولى لتدهور الدولة ، وذلك بعهده إلى ابنه الصبي من بعده رغم وجود إخوته الراشدين ؛ وجدنا ابن الخطيب ينحو منحى آخر فيجعل من زوال الوصاية العامرية سبباً رئيساً في تدهور الدولة .

ولعل هناك أسباباً أخرى دفعت ابن الخطيب إلى تأليف الكتاب ؛ فمنها :

١- الرغبة في كتابة تاريخ شامل لعصور الدول الإسلامية شرقاً وغرباً، يبدأ من عصر النبوة ؛ فالخلفاء الراشدين ؛ فبني أمية ؛ ومن بعدهم بني العباس ؛ إلى أن يصل عصر المؤلف ، لأن ابن الخطيب ألف عدة
كتب في التاريخ ؛ ولكنها تخص إقليم معين أو دولة معينة (كالإحاطة في أخبار غرناطة) ، و(اللمحة البدرية في الدولة النصرية) ، فلعله أراد أن يكتب تاريخاً عاماً للعالم الإسلامي كما فعل من سبقه من المؤرخين المشارقة والمغاربة . لا سيما وأن الاتجاه السائد في عصره يميل إلى كتابة الموسوعات العلمية .

([1])ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٢، ص ١٠٤-١٠٦

([2]) ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩ه) : **نصوص من كتاب المتين** ، تحقيق عبدالله محمد جمال الدين ، (القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ١٤١٨ه/ ١٩٩٧م) ، ص ١٦٤

([3]) حسين مؤنس ، **رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود** ، (القاهرة : د.ن ، ١٩٦٣م) ، ص ١٠٣-١٠٤ ؛ عبدالرحمن علي الحجي ، **أندلسيات** ، (بيروت : د.ن ، ١٣٨٨ه/ ١٩٦٩م) ، المجموعة الأولى ، ص ٨٠ ؛ محمد عبد الوهاب خلاف ، رؤية جديدة لأسباب سقوط الخلافة الأموية في الأندلس ، " **المجلة العربية للعوم الإنسانية** ،الكويت ،جامعة الكويت العدد السادس ، ١٩٨٢م ، ص ٢٦-٢٨

٢- عرض رأيه في مشكلة يتكرر وقوعها في دول الإسلام ؛ ويحصل بسببها الاختلاف ثم التفرقة ، وكأنه يريد إقناع من يهمه الأمر بأن سد الذرائع مقدم على جلب المصالح ؛ فتولية أمير صغير ووصي بجانبه يقوم بأمره؛ أفضل من حروب ونزاعات قد تؤدي إلى اختلال النظام فتطمع الأعداء بالبلاد .

وعلى الرغم مما أبداه ابن الخطيب من حرص واهتمام على مصلحة الأمة وإشفاقه من تفتت قوتها إذا هي خرجت على إمامها الصبي أو كافلة الوصي ؛ إلا أن فكرته تلك لا سند لها في الفقه الإسلامي ، إذ كيف ينهض بأمر المسلمين صبي قاصر دون سن التكليف الشرعي ؟ولذا فقد تبلور لدى علماء المسلمين منظومة حول نظرية الخلافة والشروط اللازم توافرها فيمن يتولي هذه الرتبة الجليلة وكان شرط البلوغ ؛ من هذه الشروط المطلوبة وفق ما قررته كتب السياسة الشرعية ([1]) لكن هذه الشروط لا تنسجم تماماً مع مبدأ التوريث في الحكم ، فجرى في أحايين كثيرة تولية خلفاء أو سلاطين قصَر ، ولكن فقهاء المسلمين رأوا عدم جواز تولية صبي صغير لهذا المنصب ، لأنهم جعلوا من شرط الإمام أو الخليفة البلوغ والمقدرة على التصرف وتدبير مصالح الرعية ، صحيح أن الصبي تصح إمامته في الصلاة لكن لا تنعقد له الولاية ، لأن الصغر يمنع من الولاية ولا يمنع من الإمامة ، واستندوا في هذا الرأي إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :" **يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم في السنة ، وإن كانوا في السنة سواء ، فأكبرهم سناً**"([2])، ومضوا يذكرون أن الصبي الصغير لا يستطيع أن يدبر أمر نفسه فكيف يدير شؤون دولة الإسلام ، بل لعله يساهم في طمع خصومها وامتداد أنياب أعدائها إليها مستغلين صغر سنه ، وانعدام خبرته في حماية بيضة الأمة ، فبدلاً من أن يكون ركناً حصيناً يكون من المعاول هدمها([3]) . ناهيك عن أنه لا يستطيع استيفاء الحقوق ، كما أنه لا يستطيع أن ينظم أمور الجيوش ويأمر بالجهاد ، وينظر في المظالم ([4]).

ومع هذا ؛ فقد تصدى ابن الخطيب لمناقشة هذه الفكرة واستعراض تطبيقاتها التاريخية ، ولعله أول من أبرز هذه الفكرة في الكتابة التاريخية حيث ألف كتابه (أعمال الأعلام) لحصر الأمراء والسلاطين الذين حكموا في العالم الإسلامي وهم دون سن الحلم سواء في مشرقه أو مغربه ، وقد أحصى ثمانية وأربعين صبياً تولوا مقاليد الحكم في بلاد المسلمين أو عهد لهم بولاية العهد ([5]) .

ولكن لم يتحدث ابن الخطيب عن بعض الأمراء الذين وعد بعرض فترات حكمهم في مقدمة كتابه ؛ وذلك عندما أخذ بتوسع في تأريخ الدول وعصور والسلاطين ، كما فعل مع بعض سلاطين الموحدين يوسف الناصر (٦١١-٦٢٠ه/ ١٢١٤-١٢٢٣م) ، و المعتصم بن الواثق (٦٢٤- ٦٢٦ه/ ١٢٢٧-١٢٢٩م) والرشيد بن المأمون (٦٣٠- ٦٤٠ه/ ١٢٣٣-١٢٤٢م) ، كما لم يتحدث عن الواثق بن محمد بن يوسف بن

([1]) الماوردي ، أبو الحسن علي محمد حبيب ، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** ، (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م) ، ص ١٤، ٣٠ ؛ أبو يعلى الفراء ، محمد بن الحسين ، **الأحكام السلطانية** ، (القاهرة : د.ن ، ١٣٨٦ه/ ١٩٦٦م) ، ص٨٠ .

([2]) البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل ، **الجامع الصحيح** ، بإشراف ومراجعة صالح بن عبدا لعزيز آل الشيخ ، (الرياض : دار السلام ، ١٤٢١ه) ، ج١، ص ٨٠

([3]) أبو يعلى الفراء ، **الأحكام السلطانية** ، ص ٨٠

([4]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص ٣٧

([5]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص ٤٦-٤٧

هود (٦٣٥- ٦٣٦ه/ ١٢٣٧-١٢٣٨م) من بني هود التجبيين في الأندلس ، وإبراهيم بن يحيى (٧٥١- ٧٥٨ه/ ١٣٥٠- ١٣٥٧م) وخالد إبراهيم (٧٧٠-٧٧٢ه/ ١٣٦٨- ١٣٧٠م) من الحفصيين ، وأبو زيان محمد بن السعيد (٧٧٤- ٧٧٦ه/ ١٣٧٢- ١٣٧٤م) من بني مرين ، ومن المرجح أن السبب يعود في عدم الحديث عن سلاطين الدولة الموحدية (٥٢٤- ٦٦٨ه/ ١١٣٠- ١٢٦٩م) ،و كذلك سلاطين الدولة الحفصية (٦٢٥- ٩٨٢ه/ ١٢٢٨- م) ، وسلاطين الدولة المرينية (٥٩٢- ٨٦٩ه/ ١١٩٦-١٤٦٤م) ، هو عدم استكماله للكتاب ، لكن ماذا عن الواثق بن محمد بن يوسف بن هود (٦٣٥- ٦٣٦ه/ ١٢٣٧-١٢٣٨م) وهو من ضمن الدول التي تحدث عنها ؟ لعل ابن الخطيب غفل عن الحديث عنه أو ربما لم يصلنا الكتاب كاملاً .

كما حاول ابن الخطيب التماس جذور هذه الظاهرة في القرن الأول الهجري ، وذلك حرصاً منه - فيما يبدو- على البحث عن سند شرعي لفكرة ولاية الصبية ومن بويعوا قبل الاحتلام ، فاستشهد بنماذج من العصر الأموي (٤١- ١٣٢ه/ ٦٦١- ٧٤٩م) لقربه من عصر النبوة ودولة الخلافة الراشدة (١١-٤٠ه/ ٦٣٢- ٦٦١م) ولمعاصرته لعدد من أمهات المؤمنين وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقد استشهد ابن الخطيب بنموذجين لفكرة كتابه تمثلا فيمن رشح للخلافة وكفله كافل كخالد بن يزيد([1]) وكافله مروان بن الحكم (٦٤-٦٥ه/ ٦٨٤- ٦٨٥م) ([2])، والنموذج الثاني فيمن عهد له بولاية العهد وهو صبي وتمثل ذلك في ابني الوليد بن يزيد (١٢٥- ١٢٦ه/ ٧٤٣- ٧٤٤م) : الحكم وعثمان ([3]) ، وهو بهذا الصنيع يريد إضفاء شرعية على الفكرة التي أفرد لها كتابه، والإيحاء بأنها أصيله وقديمه بقدم نظام الوراثة في الدول الإسلامية التي حكمت بعد دولة الخلافة الراشدة ، ثم مضى يذكر نماذج لفكرته التي تكررت في عهود الدول التي حكمت مشرق العالم الإسلامي ومغربه بعد ذلك .

لم تكن تلك التلميحات وحدها دليلاً على تأييد ابن الخطيب لفكرة تولية الصبية وأوصيائهم الحكم ، بل وجدناه قد صرح في أحايين كثيرة بهذا التأييد ، فبعد انتهائه من سرد عهد هشام المؤيد وكافله المنصور محمد بن أبي عامر ذكر ابن الخطيب بأن الوصي يتولى وظيفة شرعية بشرط أن تكون فيه صفات العدالة والكفاية، حماية لعقد المسلمين ولمصلحتهم ، وذلك في حال انتقاء وجود من يستحق الولاية من أبناء الأسرة الحاكمة ([4])

ولقد أحصى ابن الخطيب جملة من الأمراء الصغار المبايعين بالحكم ليتأسى بهم من جنح إلى مثل ذلك([5])– على حد قوله- وفي هذا ما يدل على تأييده لفكرة تأييده صبي ووصي بجانبه .

([1]) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، أبو هاشم الأموي القرشي ،كان بصيراً بالطب والكيمياء ، وقد أخذت عن راهب رومي يدعى مريانس ، توفي سنة (٩٠ه) .انظر : الصفدي ، صلاح الدين خليل أيبك ، **الوافي بالوفيات** ، تحقيق ، أحمد الأرناؤوط وآخرين ، (بيروت : دار إحياء التراث ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ، ج١٣، ص١٦٤-١٦٦

([2]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص ٨١-٨٤

([3]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص ٩٧-١٠٧

([4]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٢، ص ٨٣

([5]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٢ ، ص ٥٧

و يجدر بنا قبل أن نغادر فكرة الكتاب ودوافع تأليفه ؛ أن نقف قليلاً حول عنوان الكتاب كما أراد مؤلفه، إذ تنازعت أراء الباحثين حول التسمية الصحيحة للعنوان ؛ فقد ذكر بعضهم أن عنوان الكتاب هو (إعلام الأعمال)([1]) ورأى ثان أن عنوان الكتاب هو (أعمال الأعلام)([2]) . ولعل الصواب في عنوان كما أراد له مؤلفه هو مايلي : (أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام) ، وهذا ما وجدناه مبثوثاً في مواضع مختلفة من أقسام كتابه مع بعض الزيادات المتباينة في العنوان ، حيث ورد في نهاية القسم الأول على النحو الآتي : (أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق به من الكلام)([3])، بينما وردت صيغة العنوان في مقدمة القسم الثالث الخاص بتاريخ المغرب كما يلي : (أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام)([4]). والحقيقة أن الكتاب في غرضه الذي أنشئ من أجله هو تتبع عصور الملوك والسلاطين والأمراء في تاريخ الإسلام الذين بويعوا قبل سن البلوغ ، ومزجها بتتبع أعلام الفقه والأدب وأهل العلم الذين عاشوا في تلك العصور وانصرفوا إلى الإنتاج العلمي الغزير دونما شعور بالغضاضة لكون سلطانهم صبياً ، ولذلك وجناه كلما وصل إلى الحديث عن أمير من الأمراء الداخلين في شرط كتابه ، أشار إلى أسماء طائفة من العلماء والفضلاء المعاصرين لهذا الأمير أو ذاك السلطان ، مثلما فعل في عهد الأمير النصري محمد بن إسماعيل بن فرج (٧٢٥- ٧٣٣ه/ ١٣٢٥- ١٣٣٢م) ([5]).

حيث ذكر أن الناس يستطيعون معرفة صواب أو خطأ توليه الصبية من خلال التعرف على العلماء والفقهاء والمحدثين الذين عاشوا في عهد السلاطين الصغار ولم يعترضوا على هذا النوع من الولاية ولم ينكروه([6]) . إذاً؛ فابن الخطيب في كتابه يرصد أعمال الأعلام تجاه من بويع قبل الاحتلام على سبيل التأسي والإتباع ، وذلك لإضفاء المشروعة على ولاية السلطان الصبي المريني أبي زيان محمد بن السعيد (٧٧٤-٧٧٦ه/١٣٧٢-١٣٧٤م) والتسليم بوصاية الوزير أبي بكر بن غازي (ت ٧٨١ه/ ١٣٧٩م) ، فالعنوان يدل على فكرة الكتاب ومنظور صاحبه .

والواقع أن فكرة الكتاب تتجاوز ذكر السلاطين الصبية وأوصيائهم وتمتد لتشمل من تولى الحكم في التاريخ الإسلامي ، كشجر الدر السلطنة المملوكية (٦٤٨ه/ ١٢٥٠م) ، حيث عدها ابن الخطيب في حكم

([1]) حسن الوراكلي ، " لسان الدين ابن الخطيب في آثار الدارسين " ، **مجلة عالم الفكر** ، الكويت ، العدد الرابع ، ١٩٨٨م، ص١٤٣

([2]) المقري ، **نفح الطيب** ، ج٦، ص ٢١٩ ؛ محمد زنيبر :" ابن الخطيب والتجديد في المنهج التاريخي "، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، بالرباط ، العدد ٢ ، ١٩٧٧م، ص ٨٩؛ أمين توفيق الطيبي ، "لسان الدين ابن الخطيب مؤرخاً ثبت في فترة ملوك الطوائف "، **مجلة كلية الآداب** ، تطوان ، العدد الثاني ، ١٩٨٧م، ص١٥٩؛ محمد بن عبود " لسان ابن الخطيب مؤرخاً للأندلس في عهد الطوائف "، **مجلة كلية الآداب** ، تطوان ، العدد الثاني ، ١٩٨٧م، ص١٥٩؛ أحمد مختار العبادي ، " لسان الدين ابن الخطيب وكتاباته التاريخية " **مجلة عالم الفكر** ، الكويت ، العدد٢، ١٩٨٥م، ص ٣٦١، محمد زكريا ، " من أعلام فن التوشيح في الأندلس لسان الدين ابن الخطيب ، **مجلة كلية الآداب** ، الإسكندرية ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ٤٤٢.

([3]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص ٣٤٦

([4]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٣، ص٢

([5]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج ٢، ص ٢٩٥- ٣٠٤

([6]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص ١٩٩

القاصرين رغم أنها تقلدت منصب السلطة وهي في سن الرشد([1]) ، وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل : إلى أي مدى كان ابن الخطيب ملتزماً بفكرة كتابه ؟ لقد شملت فكرة كتاب (أعمال الأعلام) الحديث عن عهود السلاطين الصبية وأوصيائهم القائمين على أمور دولهم وممالكهم ، بالإضافة إلى ذكر أعمال وإنجازات الأعلام من العلماء والفقهاء الذين عاشوا تحت حكم هؤلاء الأمراء والسلاطين ، وعلى الرغم من أن ابن الخطيب استفرغ جهده في تتبع هؤلاء السلاطين الصبية وأوصيائهم على مختلف مراحل التاريخ الإسلامي وفي أماكن متفرقة من أنحاء العالم الإسلامي ؛ إلا أنه لم يستوف جميع جوانب فكرة الكتاب ، فقد فات عليه أن يعطها حقها من البحث في جوانب كثيرة . فقد أوجز في ذكر بعض حوادث الأمراء رغم أنهم من شرط كتابه ، مثل عصر الأمير العامري عبد الملك بن عبد العزيز ببلنسية (٤٥٢ - ٤٥٧هـ/ ١٠٦١ - ١٠٦٥م) في الأندلس ([2]) .ثم إنه لم يتعامل مع عصور الأوصياء على حد سواء من حيث التوسع والإيجاز ، وإنما توسع في عصر وصي كالحاجب المنصور محمد بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٢م) بالأندلس([3]) ، وأوجز مثلاً في عصر حماد بن بلقين الوصي على الأمير باديس بن المصور بن بلقين بن زيري (٣٨٦-٤٠٦هـ/ ١٠٦١ - ١٠٦٥م) بالمغرب ([4]).

ويلاحظ أن ابن الخطيب لم يتحدث عن كيفية اختيار هؤلاء الصبية الأوصياء ليكونوا قيمين على أمر السلاطين الصغار ، وبالتالي قائمين على سلطة الدولة ، بل يشير في البداية إلى اسم المكفول ، ومن اسم الوصي وبعدها يسرد أحداث العصر ، دون التطرق إلى كيفية وصول ذلك الوصي إلى منصبه .

ولقد تعهد ابن الخطيب في مقدمة كتابه أن يتناول فترات سلاطين صغار حكموا وهم لم يبلغوا سن الاحتلام وذكر أسماء عدد منهم في مقدمته لكنه لم يتحدث عنهم في متن الكتاب ، مثلما فعل مع الواثق بن محمد بن هود (٦٣٥-٦٣٦هـ/ ١٢٣٧ - ١٢٣٨م) من بني هود التجبيين في الأندلس([5]) . كما أنه لم يتناول إنجازات الأعلام من العلماء والفقهاء الذين عاشوا تحت حكم هؤلاء السلاطين الصغار فم يتتبع نشاطاتهم العلمية أو يحدد طبيعتها من تعليم أو تأليف أو إنشاء دور العلم أو أوقاف خيرية بل اكتفى بسرد أسماء الأعلام من علماء ، وفقهاء ،وقضاة ، وإيضاح مجالات اختصاصاتهم من العلوم الشرعية كالفقه والحديث بدون تفصيل لدورهم في الحياة العلمية أو حتى السياسة ، اللهم ما تعلق بإغضائهم عن ولاية الصبية ، وعدم اعتراضهم على هذا النمط من الولاية ، مما يدل على اعترافهم بشرعية حكم السلاطين الصغار .

أما عن مدة تأليف الكتاب ؛ فلم تذكر المصادر التي بين أيدينا شيئاً عن المدة التي استغرقها في تأليف كتابه (أعمال الأعلام) ، ولذلك وقع الباحثون في حيرة حول مدة تأليف الكتاب ، ولكن من المرجح أن ابن الخطيب استغرق مدة وجيزة في تأليف كتابه (أعمال الأعلام) فيما يبدو ، لأنه شرع في تأليف الكتاب في منتصف سنة (٧٧٣هـ/ ١٣٧٢م) أي في السنوات الأخيرة من عمره ، وهو في منفاه بالمغرب ([6]) ، ثم لم

([1]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج ١٣، ص ١٩٩

([2]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٢، ص ١٩٥-١٩٦

([3]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج ٥٧-٦٨

([4]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٢، ص ٦٩- ٧٢

([5]) انظر أعلاه ، ص ١٥

([6]) Anwar cheje :**MuslimSpain**, **ItsHistoryandculture**(Minneapolis: The University of Minnesot ,1974)

يمتد به العمر إلى حين اكتمال الكتاب إذ توفي مقتولاً بسجنه في مطلع سنة (٧٧٦ه/ ١٣٧٢م) بل إن ابن الخطيب ذكر أنه استغرق مدة وجيزة جداً في كتابه الجزء الأول من(أعمال الأعلام) إذ لم تتجاوز العشرين يوماً ([1]).

أما (ليفي بروفنسال)([2]) فقد وقف على ما يفيد بأن الكتاب بكامل أجزائه جرى تأليفه خلال أربعين يوماً ولكن بروفنسال لم يقنع بما قرأه في إحدى مخطوطات الكتاب عن هذه المدة ، وذهب إلى القول بأن المقصود بالأربعين يوماً قد تكون خاصة بقسم واحد من أقسام الكتاب ويبدو أن ما ذهب إليه بروفنسال فيه قدر من الصواب فأقسام الكتاب الثلاثة تضم مادة علمية وافرة جلبها ابن الخطيب من مصادر متنوعة ، والنظر في هذه المصادر يحتاج إلى وقت غير قصير ، ثم إن ترتب المادة العلمية وتنظيمها وتبويبها لا يمكن أن تستقيم للمؤلف في مدة قصيرة كهذه ، علاوة على أن القسم الثالث من الكتاب الخاص بتأريخ المغرب لم يتمكن ابن الخطيب من استكماله ، إذ حلت به النكبة قبل بلوغ غرضه ، وفي هذا ما يدل على أن ابن الخطيب كان مستمراً في تأليف الكتاب إلى حين وفاته.

من ما تقدم ليدل أيضاً على أن الكتاب (**أعمال الأعلام**) هو آخر مؤلفات ابن الخطيب ، وهو ما ذهب إليه نفر من الباحثين([3])

ولذا فإن دراسة هذا الكتاب تتيح الفرصة لاستكشاف ملامح التوجه الفكري لابن الخطيب وهو في قمة نضجه واكتماله المعرفي .

المنظور السياسي :

يرتكز كتاب ابن الخطيب على رؤية سياسية ، تجسدت في مجموعة من الأفكار المبثوثة في الكتاب ، وفي مقدمتها تركيزه على ظاهرة سياسية في التاريخ الإسلامي حيث جعل من الحكام القاصرين وأوصيائهم محوراً لتفسير بعض حوادث التاريخ الإسلامي ،وهي تتضح من خلال الشواهد التاريخية التي أوردها في ثنايا كتابه فمثلاً نجده يفسر انتقال السلطة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني بفكرة كتابه (الصبي والوصي) ، وذلك حين ضرب مثلاً بزواج مروان بن الحكم (٦٤-٦٥ه/ ٦٨٤- ٦٨٥م) من أم خالد بن يزيد ([4]) الذي كان يتطلع لنيل الخلافة لكن صغر سن منعه فاتفق أنصاره على أن يكفله مروان بن الحكم ليحفظ له الخلافة حتى يبلغ خالد سن الرشد ([5]) غير أن ابن الخطيب رأى أن الرياح جرت بما لا تشتهي سفن أنصار خالد؛ فمروان قصد بزواجه من عاتكة انتزاع الحكم من ابنها الصغير خالد بن يزيد حيث أشار بقوله :" **ومهد الأمر لنفسه كأنه كافل**"ومن ثم الاستئثار بالحكم دون خالد، وليضمن عدم

([1]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج ١، ص٣٧٤,

([2]) ابن الخطيب ،**أعمال** ، ج٢ ، ص "ح" –مقدمة المحقق–

([3]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٣،ص "ع" – مقدمة المحققان – ؛ ومحمد زنيبر " **التجديد** " ، ص ٨٩

([4]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص ٨١-٨٤

([5]) هي عاتكة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة القرشي ، أم خالد بن يزيد الذي أقصاه مروان بن الحكم من السلطة فنقنض بيعته ، قيل إنها قتلت زوجها مروان لما علمت بأمره انتقاماً لابنها ؛ انظر : البلاذري ، أحمد بن يحي بن جابر ، **أنساب الأشراف** ، (بغداد : مكتبة المثنى ، د.ت) ، ج٥، ص ١٤٣-١٤٥ .

خروج الأمر من بعده إلى السفيانيين مرة أخرى قام بالبيعة لابنه عبد الملك بولاية العهد ([1]) . كما أشار ابن الخطيب إلى قضية أخرى وهي عدم قبول الناس لفكرة تولي صبي لكرسي الخلافة ، وهو ما جعل أنصاره خالد يلجأون إلى اختيار رجل مسن كمروان بن الحكم كافلاً لخالد بن يزيد ([2]) .

ويمضي ابن الخطيب في تفسيره السياسي لحوادث التاريخ ، جاعلاً من ولاية الصبي محوراً لتلك الحوادث في معظم الأحيان ، فذكر أن مروان بن محمد الجعدي (١٢٧- ١٣٢ه/ ٧٤٥- ٧٥م) ثار على إبراهيم بن الوليد (١٢٦- ١٢٧ه/ ٧٤٣- ٧٤٥م) الذي كان ولياً للعهد بسبب أبيات من الشعر نسبت إلى الحكم بن الوليد بن يزيد ؛ والذي كان صبياً مسجوناً فقال تلك الأبيات محرضاً مروان على الانتقام له ممن انتزعه السلطة ، إذ كان الحكم بن الوليد قد عهد له أبوه الوليد بن يزيد (١٢٥- ١٢٦ه/ ٧٤٢- ٧٤٣م) بالخلافة من بعده يقول فيها :

أيذهب عامر بدمي وملكي فلا غثاً أصبت ولا ثمينا

فإن أهلك أنا وولي عهدي فمروان أمير المؤمنيـــــــــــــنا ([3])

وهذا ما يدل على أن ابن الخطيب رأى في هذه الحادثة التاريخية أسباباً سياسية ، علاوة على أنه أعطى احترام البيعة ، حتى وإن كانت لصبي ، أهمية بالغة في الأوساط السياسية ([4])

واستمر ابن الخطيب بهذا المنظور في تفسير قضايا تاريخية أخرى ، مثل سقوط مصر في عهد الدولة الإخشيدية (٣٢٣- ٣٥٨ه/ ٩٣٥- ٩٦٩م) على يد الدولة العبيدية ، إذ رأى أن موت كافور الإخشيدي الوصي على الحكم ، هو الذي أدى إلى سقوطها في يد العبيديين ، لأن كافوراً كان شخصية سياسية قوية ومتمكنة من قيادة دفة الحكم([5]). ولم يذكر أسباباً اقتصادية أو اجتماعية غير السبب السياسي الذي ذكره ، رغم أن المصادر والدراسات الحديثة عللت سقوط مصر في يد العبيديين بأسباب اقتصادية منها :

([1]) الطبري ، محمد بن جرير ، **تاريخ الرسل والملوك** ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) ، ج ٣ ، ص٤٢٣ ؛ المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، (د.م ، د.ن ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ج١، ص ٨٤-٨٥؛ ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني ، **الكامل في التاريخ** ، (بيروت : دار صادر ، ١٣٩٩هـ/ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ج٤، ص ١٩١؛ يوسف العش ، **الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها** ، (دمشق ، لبنان ،: دار الفكر ، دار الفكر المعاصر ، ١٩٨٥م) ، ص ١٩٠

([2]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص ٨١-٨٤

([3]) الطبري ، **تاريخ** ، ج٣، ص ٤٢٣-٤٢٤؛× ابن الأثير ، **الكامل** ، ج٤ ، ص ١٩١-١٩٢؛ يوسف العش ، **الدولة الأموية** ، ص١٩٠ .

([4]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١ ، ص١١١-١١٢.

([5]) ينبغي التنبيه إلى أن النص المخطوط احتوى على معلومات وردت مطموسة في النسخة المحققة وهي في موضوع كافور الأخشيدي ؛انظر : ابن الخطيب ، أبو عبدالله لسان الدين محمد بن عبدالله **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** ، مخطوط الرباط ، الخزانة العامة ، رقم (٢٥٥١ د) ، ج١، ورقة ب ٧٠- أ ٧١.

١- انخفاض مستوى مياه النيل سنة (٣٥١هـ/ ٩٦٢م) ، وما تلاه من قحط ووباء وغلاء ، وظل الانخفاض تسع سنوات حتى عام (٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) ، مما ساهم في تدهور أحوال الناس الاجتماعية ([١]) .

٢- غزو النوبيين للمناطق الجنوبية لمصر ، وسلبهم الكثير من الأموال عام (٣٣٩هـ/ ٩٤٧م) ([٢]) .

٣- عجز كافور لسوء الأحوال الاقتصادية عن دفع رواتب جنده ، مما أدى إلى تذمرهم وعدم رغبتهم في الخدمة العسكرية ([٣]).

وتبعاً لسوء الأحوال الاقتصادية حدثت الفتن واضطربت الحالة الاجتماعية ([٤]).

واستتباعاً لهذه الرؤية السياسية لحوادث التاريخ الإسلامي ؛ عمد ابن الخطيب إلى تصنيف الناس إزاء تولية هشام المؤيد بن الحكم (٣٦٦- ٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٨م) ، بسبب موقفهم السياسي فجعلهم أربعة أصناف ؛ الصنف الأول يتمثل في رجال الدولة من وزراء ؛ وهؤلاء تكمن مصلحتهم في تولية الصبي هشام ؛ لأنهم حينئذ سيحتفظون بمواقعهم القيادية المتنفذة ، والصنف الثاني يتمثل في فريق الجند الذين لا يعجبهم – على حد قول ابن الخطيب – أن يكون على رأس الدولة صبي قاصر ضعيف ، ويفضلون عليه رجلاً بالغاً مكتمل الرجولة ، له القدرة على اتخاذ القرارات دون تأثير من الآخرين ، والصنف الثالث همه الآخرة بعيدٌ عن الدنيا فهم لا يتكلمون في مثل هذا بل مشغولون بالخلوة لربهم ، أما الصنف الرابع فله موقف سلبي لا يهمه الأمر ؛ وأغلبهم من عامة الناس وفقرائهم ، فرجاؤهم فيمن يبدل عسرهم يسرا ([٥]).

ومن الملاحظ أن ابن الخطيب جعل الصنفين الثالث والرابع ؛ أصحاب مواقف سياسية ، رغم لم يتخذوا مواقف واضحة بعينها ! فهم إما نساك منقطعون إلى عبادتهم ، أو عامة معنية بتدبير معاشها ، فأين موقفهم السياسي؟

([١]) ابن الأثير ، **الكامل** ، ج٨، ص ٥٩٠؛ المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا** ، تحقيق جمال الدين الشيال ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، د.ت) ، ص١٦٨؛ سيدة إسماعيل كاشف ، **مصر في عصر الإخشيدين** ، (القاهرة : د.ن ، ١٩٩٠م) ، ص ٣٤٦؛ مصطفى طه بدر ، **مصر الإسلامية** ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٤م) ، ج١، ص ٢٢١؛ محمد أحمد محمد ، **الأحداث السياسية في مصر الإسلامية** ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ص ١٢٩.

([٢]) ابن الأثير ، **الكامل** ، ج٨ ، ص ١٨٧؛ حسن إبراهيم حسن ، **الفاطميون في مصر** ، (القاهرة : المطبعة الأميرية ، ١٩٣٢م) ، ص٩٦؛ مصطفى بدر ، **مصر الإسلامية** ،ج١، ص ١٨٧

([٣]) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار** ، (القاهرة : المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، د.ت) ، ج١، ص٣٣٠؛ حسن إبراهيم حسن ، **الفاطميون** ، ص٩٦؛ محمد جمال الدين سرور ، **تاريخ الدولة الفاطمية** ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٩٥م) ، ص٦٣.

([٤]) المقريزي ، **اتعاظ الحنفا** ، ص ١٦٨-١٦٩ ؛ سيدة كاشف ، **مصر** ، ص ٣٤٦؛ محمد جمال الدين سرور ، **تاريخ** ، ص ٦٣.

([٥]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٢، ص ٤٨-٥٩

ولقد فسر ابن الخطيب بناء المنصور محمد بن أبي عامر لمدينة الزاهرة (٣٧٠ه/ ٩٨٠م)([1]) تفسيراً سياسياً ؛ فذكر أن الحاجب المنصور بنى المدينة سيراً على نهج الملوك في الاختصاص بقصر ، فيصل بذلك إلى مكانتهم ويسمو كسموهم ، ناهيك عن خشيته من دسائس الخصوم والأعداء ومكائدهم ([2])، فحصر أسباب بناء المدينة في عاملين سياسيين هما التشبه بالملوك ، وأخذ الحيطة والحذر من حيل الخصوم والأعداء ، ولم يقدم تفسيرات أخرى كالاهتمام بالنواحي العمرانية والحضارية مثلاً . وقال مثل ذلك في مقتل السلطان النصري الصبي محمد بن إسماعيل بن فرج بن نصر (٧٢٥- ٧٣٣ه/ ١٣٢٥-١٣٣٢م) إذ بين أنه جلب على البلاد دماراً وخراباً ، وعمت الفوضى البلاد ، وحل الاضطراب ، وانعدام الأمن ([3]) ، ولم يعط ابن الخطيب نتائج ذات لون اجتماعي أو اقتصادي لتلك الحادثة .

لم يكتف ابن الخطيب بما تقدم ؛ وإنما مضى في تفسيره أحوال التدهور الحضاري و الخراب العمراني تفسيراً سياسياً ، ولم ينسَ أن يقحم موضوع الصبية والأوصياء في الأمر ، فالخروج على السلطة بدعوى استبداد الوصي بمقاليد الأمور يؤدي إلى التدهور الحضاري ، وضرب مثالاً على ذلك بتفكك الأندلس وتفتتها إلى دويلات طوائف

متناحرة بعد زوال العامريين (٤٢٢-٤٨٤ه/ ١٠٣١- ١٠٩١م) إن كثيراً من أهل قرطبة وأرباب النعم رثاها بسبب ما حل بها من خراب ([4]).

وأسهب ابن الخطيب في ذم فترة ملوك الطوائف حيث صب عليها جام غضبه ، وإليها أعاد محنة الأندلس وخرابها ووقوعها فريسة في يد أعدائها ، بسبب ما هم فيه من فوضى وتفرق ([5]) ومن أقواله في هذا الشأن مشيراً إلى ملوك الطوائف (٤٢٢-٤٨٤ه/ ١٠٣١- ١٠٩١م) ([6]) . كما وصف أهل الأندلس بالصم البكم ؛ عندما أنكروا بيعة الأمير النصري محمد بن إسماعيل بن فرج بن نصر (٧٢٥- ٧٣٣ه/ ١٣٢٥- ١٣٣٢ م) ، لأنه صبي صغير وقتلوه فحدثت مالا تحمد عقباه من اضطراب الأحوال السياسية ، وتزعزع الأمن ، ووقوع البلاد فريسة للدمار والخراب ([7]) .

لم تتضح الرؤية السياسية لابن الخطيب من خلال الشواهد السابقة فحسب ؛ بل إنه أفصح عن توجهه السياسي في مقدمة كتابه (أعمال الأعلام) ؛ عندما تحدث عن أهمية علم السياسة حيث قال :" **إن الله جل**

([1]) ابن عذاري ، **البيان المغرب** ، ج٢، ص ٢٩٠؛ أما الزهراة فهي مدينة في الأندلس متصلة بقرطبة من ناحية الشرق ، شرع المنصور محمد بن أبي عامر في بنائها منذ سنة (٣٦٨-٣٧٠ه) ، وذلك عندما سيطر على مقاليد الأمور في الأندلس ، توسع المنصور في تشييد ابنيتها وبالغ في رفع أسوارها وجمع فيها دواوين الدولة وأقطع لكتابه وقواده القطاع الواسعة .انظر : الحميري ، **الروض** ، ص٢٧٤

([2]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٢، ص ٦٢

([3])ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٢، ص ٦٢

([4]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٢، ص ٢٩٥-٣٠٤

([5]) ابن بلقين ، عبدالله ، **مذكرات الأمير عبدالله المسماه بكتاب التبيان** ، تحقيق ليفي بروفنسال ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٥م) ، ص ١٠٩-١١٠

([6]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٢، ص ١٠٦

([7]) ابن الخطيب ، أبو عبدالله لسان الدين محمد بن عبدالله (ت ٧٧٦ه) ، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية** ، (بيروت : دار الآفاق ، ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م) ، ص ٩٦-٩٧

وتعالى لم تكن رحمته لتهمل العالم من ضروريات السياسة التي لا تستقيم دونها أحواله ، ولا يحسن مع عدمها ماله ، إنها شركة في السعادة المشروطة ....."([1])

ومضى متحدثاً عن أهمية التمسك بحبل الجماعة والتحذير من الخروج على السلطان وأن ذلك مما جاءت به الشريعة الإسلامية ([2]) وتلك رؤية سياسية حرص ابن الخطيب على ربطها بالدين ؛ ليمهد من جانب آخر لفكرة قبول السلطان الصبي من الناحية الشرعية ، ولا غرابة في أن يكون منظور ابن الخطيب سياسياً فهو رجل سياسة ، مارس الحياة السياسية أثناء تقلده لعدة مناصب سياسية في الدولة النصرية (٦٢٩- ٩٨٧ه/ ١٢٣٢- ١٤٩١م) بغرناطة ([3]) .

سبق أن أشرنا إلى أن ابن الخطيب جعل من الحكام القاصرين وأوصيائهم محوراً لتفسير بعض حوادث التاريخ الإسلامي ، ولذلك توسع في الحديث عن عصورهم باعتبارهم العمود الفقري لفكرة الكتاب بينما أوجز في الحديث عن عصور أخرى من التاريخ ، وهذا ما دفع بعددٍ من الباحثين([4]) إلى انتقاد منهج ابن الخطيب في كتاب (أعمال الأعلام) ، إذ لم تكن فصول الكتاب متوازنة فيما بينما ، فهو يختصر ويوجز في فصل مثل الولاة والدولة الأموية، وعصر المرابطين ، ثم يفصل ويتوسع في عصر آخر كعصر هشام المؤيد غير أن الأمر بخلاف ما ذهبوا إليه ، فدراستنا للكتاب تظهر أن المؤلف كان يُعنى بعصور السلاطين القصّر ، ويفصل في مادته العلمية التي جلبها عنهم ، وذلك شيءٌ مفهوم باعتبارهم أساس فكرة الكتاب ، بل إن ابن الخطيب أوضح ذلك في مقدمة كتابه بأنه نسق الأصول تبعاً للفروع ، وجعل الأفراد المعني بتاريخهم وسيلة إلى الإتيان بالمجموع ، ليحصل التناسب في التسلسل التاريخي، ويؤكد أنه متى عثر على غرضه ومطلبه فلا يسمح للقلم في الإكثار بالحديث ممن يخرج عن شرط كتابه ([5]) .

وهناك أمثلة يمكن استعراضها بهذا الصدد لتأكيد ما ذهبنا إليه ؛ ففي تناوله لفترة السلطان المملوكي المنصور قلاوون (٦٧٧- ٦٨٨ه/ ١٢٧٩-١٢٩٠م) ، استغرق حديثه عنها قرابة أربع صفحات من كتابه([6]) ، وما ذلك إلا لكون السلطان قلاوون وصياً على السلطان المملوكي العادل سلامش وهذا ما ينسجم مع فكرة الكتاب (أعمال الأعلام) ، بينما وجدناه يمر سريعاً على فترات أخرى لبعض الخلفاء والحكام اللامعين مثل الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨ه/ ٧٥٤-٧٧٥م) فلا يكاد يتجاوز الحديث عن عهده عشرة أسطر([7]) ، ولا غرابة في ذلك؛ فالمؤلف يبحث عن شواهد لفكرة كتابه ولهذا أوجز في مثل تلك المواضع.

([1]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١ ، ص ٤٠- ٤١

([2]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ورقة ب٢

([3]) انظر أعلاه ، ص ٥

([4]) محمد بن عبدالله عنان ، **لسان الدين ابن الخطيب وتراثه الفكري** ،(القاهرة : مؤسسة الخانجي ، ١٣٨١ه/ ١٩٦١م) ، ص ٢٤٩ ؛ محمد زنيبر ، " **التجديد** " ، ص ١٠١ .

([5]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١ ، ص ٤١

([6]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٢ ، ص ٢٨٦-٢٩٠

([7]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١ ، ص ١٢١- ١٢٢

على أن مما يلفت الانتباه هو أن ابن الخطيب كان يميز بين السلاطين القصر أنفسهم رغم كونهم جميعاً من شرط كتابه ، حيث أوجز عن بعضهم ، وتوسع في حديثه عن البعض الآخر ، ولعل هذا التمييز قد جاء وفقاً للمعايير التالية :

١- بسط الحديث عن فترة الخليفة أو السلطان الذي حكم ومعه وصي حيث توسع كثيراً في عهده مثل : الخليفة العباسي المقتدر بالله العباسي (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨- ٩٣٣م) إذ خصص له نحواً من عشر صفحات([١])، وكذلك فترة الخليفة الأموي بالأندلس هشام المؤيد وقد وقعت في إحدى عشرة صفحة من الكتاب ([٢])، بينما أوجز في عهد السلطان الذي حكم فترة قصيرة وإن كان معه وصي مثل : الأمير العامري ببلنسية([٣])
عبد الملك بن عبد العزيز (٤٥٢-٤٥٧هـ/ ١٠٦١-١٠٦٥م) ، حيث استغرق في الحديث عن عهده صفحة واحدة ([٤]).

٢- تسليط الضوء على أخبار السلاطين القصّر الذين دخلوا في نزاع مع أوصيائهم ، إما ببلوغهم سن الرشد وتطلعهم إلى استرداد ما لهم من نفوذ ، وإما بتحريض من أطراف أخرى في جهاز الدولة ، كحديثة عن فترة الأمير باديس بن المنصور بن بلقين بن زيري (٣٨٦-٤٠٦هـ/ ٩٩٦-١٠١٥م) بإفريقية الذي ثار على عمه حماد بن بلقين وحاربه ، وجاء ذلك في ثلاث صفحات([٥]) .

٣- الحديث بدرجة أقل عن الخليفة أو السلطان القاصر الذي حكم بدون وصي ، مثلما فعل في فترة الأمير أبي الفتوح يوسف بن عبدالله بن محمد بن حسن (٣٧٩-٣٨٨هـ/ ٩٨٩-٩٩٨م) من بني زيري بالمغرب ، حيث لم يتجاوز الحديث عن عصره بضعة أسطر ([٦]).

إن هذه المعايير لتؤكد أن فكرة الكتاب جاءت لدعم موقف الوزير أبي بكر بن غازي ، الوصي على السلطان أبي زيان محمد السعيد بن عبد العزيز المريني (٧٧٤-٧٧٦هـ/ ١٣٧٢-١٣٧٤م) .

المنظـــور الديني :

([١]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١ ، ص١٦٥

([٢]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١ ، ص١٦٥

([٣]) بلنسية : مدينة بالأندلس كانت قاعدة من قواعدها آنذاك ، تقع في شرق الأندلس على نهر ، وهي قريبة من البحر ، تكثر بها المزارع والبساتين ، يعمل أهلها بالتجارة ولذا عرفت بكثرة الأسواق، وقعت في يد الإسبان سنة (٦٣٦هـ) ؛ الإدريسي ، أبو عبدالله محمد عبدالله الحموي ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ) ، ج٢، ص ٥٥٦

([٤]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٢ ، ص ١٩٥- ١٩٦

([٥]) ابن الخطيب ،لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٧٧٦هـ): **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط** ، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ،(الدار البيضاء :دار الكتاب ، ١٩٦٤م) ، ج٣، ص ٦٩-٧٠

([٦]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٣، ص ١٢٩- ١٣٦

تبين فيما تقدم أن ابن الخطيب استعرض مادة كتابه (أعمال الأعلام) بمنظور سياسي ينسجم وطبيعة المهام التي مارسها ، ومع ذلك فإنه يمكن القول أن هناك رؤية دينية وردت في ثنايا الكتاب ، وجاء بها ابن الخطيب لدعم منظوره السياسي في قراءة التاريخ ، فقد كان مواظباً على عرض أسماء العلماء والفقهاء الذين عاشوا في عصور السلاطين القصر وخاصة علماء الفقه والحديث فضلاً عن القضاة ، وكأنما أراد من وراء ذلك أن يدلل على مشروعية هذه الحالة _أعني ثنائية السلطة _ متى وجدت أو دعت الحاجة إليها ، إذ كان في سلف الأمة علماء وفضلاء عاشوا في مثل تلك الظروف السياسية ولم يروا بأساً من ولاية صبي أو كفالة وصي . و اعتناء ابن الخطيب بتتبع أهل العلم الشرعي دون سواهم من فئات المجتمع يعكس جانباً من رؤيته الدينية في قراءة حوادث التاريخ ، فأولئك العلماء عاشوا في زمن السلاطين الصبية وتقبلوا حكمهم دونما ضجر أو نزعة إلى التمرد ، بل واصلوا إنتاجهم الفكري في تلك الفترات ؛ كما في عهد الخليفة الأموي الوليد بن يزيد (١٢٥- ١٢٦ه/ ٧٤٣-٧٤٤م) الذي بايع لابنيه الحكم وعثمان ، حيث ذكر ابن الخطيب اثنين وثلاثين عالماً من فقهاء وقضاة ومحدثين([1]) ، وكذلك في أيام الخليفة العباسي المتوكل (٢٣٢-٢٤٧ه/ ٨٤٧- ٨٦١م) الذي بايع لابنيه لقاصرين المؤيد والمعتز سنة (٢٤٧ه/ ٨٦١م) حيث ذكر تسعة وسبعين عالماً من الأئمة الأعلام وجدوا في تلك الفترة ([2]) ، كما أشار في عصر السلطان المملوكي شعبان بن حسن بن الناصر (٧٦٤-٧٧٨ه/ ١٣٦٣- ١٣٧٦م) إلى عدد من العلماء ؛ بلغوا خمسة وثمانين عالماً من المشتغلين بالدراسات الشرعية ([3]) ، وواضح أن هدف ابن الخطيب من استعراض أولئك الأعلام الذين عاشوا غي فترات حكم السلاطين الصغار ، إنما هو إضفاء الشرعية على تولية الصبي وإقامة الوصي إلى جانبه . وغير خافٍ أن الاستدلال بعلماء الشريعة ومواقفهم من حوادث التاريخ الإسلامي إنما هو منظور ديني .

لقد ظهرت هذه الرؤية الدينية أيضاً في بعض الأمثلة التي ساقها ابن الخطيب لتفسير بعض حوادث التاريخ الإسلامي ، ومن بينها إشارته إلى الصراع الذي جرى بالأندلس بين الحاجب محمد بن أبي عامر (القيـّم على أمر الخليفة الصبي هشام المؤيد) وبين منافسه غالب الناصري ([4]) (ت ٣٧١ه/ ٩٨١م) حيث جرت بين الطرفين معركة عام (٣٧١ه/ ٩٨١م) ، ومات فيها غالب الناصري ميتة طبيعية دون أثر لسلاح في جسده ، فرأى ابن الخطيب إنها كانت مباهلة حكم الله فيها لمحمد بن أبي عامر ([5]).

([1]) ومن هؤلاء العلماء محمد بن شهاب الزهري ، و عبد الملك بن جريج ، ومحمد بن إسحاق بن يسار ؛ ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص ١٠٥-١٠٦

([2]) ومن هؤلاء العلماء سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني ، والزبير بن بكار ؛ ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١ ، ص١٤٨- ١٥٠

([3]) ومن هؤلاء العلماء أبو العباس أحمد بن محمد الظاهري الشامي وقاضي القضاة نجم الدين محمد بن جمال الدين الطبري وعفيف الدين المصري ؛ ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص ٣٢٠- ٣٣٨

([4]) غالب الناصري : مولى الحكم المستنصر ، تقلد ولاية مدينة سالم ثم قائداً لجيوش الأندلس ففتح عدداً من الحصون الإسبان في أيام الخليفة الناصر لدين الله والخليفة الحكم المستنصر حتى بلغت غزواته أكثر من خمسين غزوة ، صاهره المنصور بن أبي عامر بزواجه من ابنته ، ليستعين به على الوزير المصحفي في تحقيق مآربه ، توفي في معركة جرت بينه وبين صهر ابن أبي عامر سنة (٣٧١هـ) ودفن في مدينة سالم شمال شرق الأندلس . انظر : المقري ، **نفح الطيب** ، ج١، ص ٣٨١-٣٨٣ ، ٣٨٩، ٤٠٠ .

([5]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج ٢، ص ٦٦

ويتكرر مثل هذا التفسير في مثال آخر ساقه ابن الخطيب ؛ عندما تحدث عن وفاة الأمير مبارك العامري([1]) حاكم بلنسية (٤٠٠-٤٠٨ه/ ١٠٠٩- ١٠١٧م) ([2])؛ فقد علق ابن الخطيب على سبب وفاته بأن ذلك جاء نتيجة لظلمه و عسفه بالناس ، عندما فرض عليهم ما لا يطيقونه من المغارم ففصل في ذكر الحادثة بقوله :" **فلما أتى القنطرة ، وكانت من خشب ، خرجت رجل فرسه فرمى به أسفلها ، و اعترضته خشبة ثانية شدخت وجهه، وكفاهم الله أمره "** ([3]) .

ومثال ثالث أيضاً في هذا الصدد يتعلق بالأمير الأغلبي عبدالله بن إبراهيم بن الأغلب (٢٨٩- ٢٩٠ه/ ٩٠٢- ٩٠٣م) حيث وصفه ابن الخطيب بالظلم والتجبر ، فأبدى له الصالحون من أهل إفريقية النصح لكن دون جدوى ، فمدوا أيديهم إلى الله بالدعاء بالخلاص منه ، و استجيبت دعوتهم فيه ، فعبر ابن الخطيب عن ذلك بأن الله أصابه بقرحة تحت أذنه بعد خمسة أيام من دعوتهم وقتلته في اليوم السابع ([4]) .

ولقد ارتبط بالمنظور الديني ظهور نزعة جبرية ([5]) عند ابن الخطيب تجلت في تفسير السلاطين القصّر الحكم في بقاع كثيرة من العالم الإسلامي ؛ على أنه قدر الله ، فهو سبحانه أراد لتلك الطائفة من الناس أن يتولوا أمر أمة الإسلام حيث أشار بأن الأحوال قد تصلح بهم وتتيسر لهم المرام ، فمن سلم لهم ورضى بقسمة الله ، وعلم أن الأشياء مفروغ منها بعلمه سبحانه فهو مثاب ([6]) وكأنه يحث بالتسليم المطلق لأمرهم لأنه أمر الله كما رأى .

ثم نراه في موضع آخر يشير إلى أن تولية الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠ه/ ٩٠٨-٩٣٣م) كانت بإرادة الله وقدره ، فإنه لما خلع في ولايته الأولى أعادته مشيئة الله سبحانه للولاية الثانية التي استمرت خمس وعشرون سنة ويجزم ابن الخطيب في ذلك بأن الله سبحانه أبى الله إلا بقائه وطول عهده ، حتى بلغ خمس وعشرون سنة ([7]).

ولقد لاحظنا ظهور النزعة الجبرية في تعليق ابن الخطيب على تجدد الحكم العامري في بعض أنحاء الأندلس عام (٤٠٠ه/ ١٠٠٩م) ، وخاصة تولى عبد العزيز بن عبدالرحمن شنجول بن المنصور الحكم

([1]) مبارك العامري هو من موالي الدولة العامرية التي حكمت الأندلس ، تولى الحكم ببلنسية بعد ترقيته من وكالة الساقية إلى ملك الحضرة ، أساء السيرة في الناس مات سنة (٤٠٨هـ) .ابن سعيد ، علي بن موسى ، **المغرب في حلى المغرب** ، تحقيق شوقي ضيف ، (القاهرة : دار المعارف ، د.ت) ، ج٢، ص٢٩٩

([2]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج ٢، ص ٢٢٥

([3]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج ٢، ص ٢٢٥

([4]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج٣، ص ١٥-١٦

([5]) الجبرية : هي إحدى الفرق الكلامية والتي تؤمن بنفي فعل العبد عنه وإرجاعه إلى الله تعالى ، وهي نوعان جبرية خالصة وجبرية متوسطة ؛فالخالصة هي لا تثبت للعبد فعل أو قدرة على فعل أي شئ ، أما المتوسطة فهي تثبت للعبد قدرة ولكنها غير مؤثرة، وأول من قال بهذه المقالة هو الجعد بن درهم. انظر : الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر ، **الملل والنحل** ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ،(القاهرة :د.ن ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٩م) ، ج١ ، ٨٥

([6]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص ٣٧

([7]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص ١٦٦

عام (٤١١-٤٥٢ه/ ١٠٢١- ١٠٦١م) فعلق ابن الخطيب على هذا الحدث بأن الله سبحانه أذن بتجدد ملك كبير لعبد العزيز بشرق الأندلس لسنين عديدة ولم يقتصر المنظور الديني عن ابن الخطيب في قراءته لبعض حوادث التاريخ وتفسيره لها ؛ وإنما امتد ليشمل كتابه التاريخ وتدوينه ، إذ رأى أنها ذات علاقة ماسة بالجوانب الدينية ، فشرف التاريخ –وفقاً لرؤية ابن الخطيب – مستمد من احتفاظه بأحكام الشريعة الإسلامية ونقله لتاريخها خصوصاً ما تعلق بأخبار السيرة النبوية ، حيث أشار في أكثر من موضع إلى ذلك ([1])كما قال في نفس السياق أيضاً " فلو لم يكن لقي التاريخ من الشرف إلا هذا لكفى ، إذا ثبت أنه الأصل الذي تفرغ عنه تفسير الكتاب والسنة "([2]).

ويبدو أن ابن الخطيب كان حريصاً على إظهار البعد الديني في كتابته التاريخية حتى يدفع عن نفسه التهم التي ألصقها به خصومه في غرناطة لا سيما ما يتعلق منها باشتغاله بالتاريخ ، إذ عاب عليه خصمه القاضي النباهي (ت ٧٩٣ه/ ١٣٩١م) اشتغاله بكتابه التاريخ ؛ بحجة أن هذا العمل يعد غيبة للأموات والأحياء وهو ما يخالف أحكام الشريعة الإسلامية ([3]) .

ولعل من بين الأسباب التي حملت ابن الخطيب على إبراز الأهمية الدينية لكتابة التاريخ هو ما رمي به من تهمة الزندقة([4]) أيضاً ، وسعيه إلى نفي هذه التهمة عن نفسه ، حيث ادعى عليه القاضي النباهي (ت ٧٩٣ه/ ١٣٩١م) والوزير ابن زمرك (ت ٧٩٥ه/ ١٣٩٣م) أنه طعن في الشريعة الإسلامية ، وانتقض من علمائها ، وتحدث في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم بما لا يليق ، مستشهدين بما ورد في كتاب (روضة التعريف بالحب الشريف) لابن الخطيب ([5]).

وكانت التهمة مسوغاً لبلاط غرناطة بأن يطالب بني مرين في فاس بتسليمهم الوزير ابن الخطيب لكن السلطان المريني أبا فارس عبد العزيز (٧٦٨-٧٧٤ه/ ١٣٦٦- ١٣٧٢م) رفض هذه المطالب . واستمر هذا الموقف من بني مرين حتى وفاة السلطان أبا فارس عبد العزيز (٧٦٨-٧٧٤ه/ ١٣٦٦- ١٣٧٢م) وتوليه الحكم لابنه الصغير أبي زيان محمد السعيد عام (٧٧٤ه) ووزيره أبي بكر بن غازي (ت ٧٨١ه/ ١٣٧٩م) ([6]).

([1]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص ٤١

([2]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص ٥٥

([3]) المقري ، **نفح الطيب** ، ج٥، ص ١٢٢– ١٢٣

([4]) الزندقة : زنديق كلمة فارسية الأصل معربة وهي من مقطعتين (زنده كرد) ومعناها دوام الدهر ، وظهر الزنادقة في عهد بهرام جد كسرى حيث قالوا إن النور والظلمة امتزجا فحدث العالم كله فمن يكون من أهل الخير فهو بالنور امتزجا فحدث العالم كله فمن يكون من أهل الخير فهو بالنور ، ومن يكون من أهل الشر فهو بالظلمة ، بقيت جماعات منهم حتى ظهور الإسلام فخشوا من القتل فأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر ومن ثم تفننوا في تحريف الآيات وفرائض العبادات ، وقال فقهاء الإسلام إن الزنديق يستتاب فإن تاب وإلا قتل .انظر : ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد ، **الفصل في الملل والنحل والأهواء والنحل** ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ص٤٠٥

([5]) ابن الخطيب ، **أعمال** ، ج١، ص ١٦٦

([6]) المقري ، **نفح الطيب** ، ج٥، ص ١٢٤–١٢٦

إذاً فتأليف كتاب (أعمال الأعلام) جاء في فترة التجاء ابن الخطيب إلى بني مرين والتهم تلاحقه من غرناطة إلى فاس ، فلعل تغليف ابن الخطيب كتابه بالمنظور الديني أثناء تفسيره لبعض حوادث التاريخ الواردة في كتابه ، إنما هي محاولة منه لإظهار نبرة التدين وتفنيد دعاوى خصومه ضده والتي وصلت إلى حد اتهامه بأن التاريخ ما هو إلا غيبة محرمة لأشخاص أحياء وأموات و هي التي نهى عنها الدين ([1])

الخاتمـــــــــــــة:

تناول لسان الدين ابن الخطيب في كتابه (أعمال الأعلام) ظاهرة مهمة في التاريخ الإسلامي ، وهي جلوس سلاطين وأمراء صغار على سدة الحكم ، تحت كفالة وزراء أقوياء يكونون بمثابة الأوصياء عليهم ، فناقش هذه الظاهرة نقاشاً تاريخياً مستفيضاً ، حيث بنى مادة كتابه حول فكرة مشروعية ثنائية السلطة (سلطة الأمير الصبي وسلطة حاجبه أو المدبر لأمره) طالما أنها ستحفظ على الجماعة وحدتهم وعدم تفرق كلمتهم .وكانت المجاملة للسلطان المريني ووزيره بن غازي سبباً مهماً في تأليف الكتاب ولكنها لم تكن الدافع الوحيد لفكرة الكتاب _ وإن كانت هي الأهم _ فثمة دوافع أخرى مختزلة في ذهن ابن الخطيب أثرت عليه عندما كان يؤلف كتابه ؛ ومن بينها الفترة التاريخية التي عاشتها بلده الأندلس في ظل حكم هشام المؤيد وحاجبه المنصور _التي تميزت بالازدهار_ فاستحضرها بقوة في كتابه ، كما يعتبر أن بداية المصيبة بالأندلس هي بداية الثورة على الأوصياء وتمني زوالهم، وذلك بسبب ما آل إليه حال قرطبة عندما ثار الأندلسيون على الوصاية العامرية ، فيصور ابن الخطيب ما حل بالأندلس من تخريب بعد زوال الأوصياء .وهناك أسباباً أخرى هي الرغبة في كتابه تاريخ شامل لعصور الدول الإسلامية شرقاً وغرباً يبدأ من عصر النبوة إلى أن يصل عصر المؤلف ، وعرض رأيه في مشكله يتكرر وقوعها في دول الإسلام ؛ ويحصل بسببها الاختلاف ثم التفرقة ، وكأنه يريد أن إقناع من يهمه الأمر بأن سد الذرائع مقدم على جلب المصالح؛ فتولية أمير صغير ووصي بجانبه يقوم بأمره ؛ أفضل من حروب ونزاعات قد تؤدي إلى اختلال النظام فتطمع الأعداء بالبلاد .

وتوصل البحث إلى مغزى البسط والإيجاز في الكتاب؛ فقد كان ابن الخطيب يبسط القول حين يلم فترات السلاطين الصغار وأوصيائهم ، ويورد قوائم مطولة بأسماء العلماء والفقهاء والذين عملوا خلال تلك الفترات ، ولعله أراد بذلك أن يشير إلى تفاعل أولئك الفقهاء مع عهدهم حيث عملوا وبرزوا في ميادينهم العلمية دونما غضاضة من صغر سن الأمير أو غلبة الوصي المدبر لشئون الدولة ، وفي الفترات التاريخية الأخرى والتي لا تدخل ضمن شرط كتابه كان ابن الخطيب ينزع نحو الإيجاز ؛ حيث كان يوجز في الحديث عن تلك العصور الخارجة عن شرط كتابه ، فهو يفصل بالمادة العلمية المندرجة تحت شرط كتابه ويختصر فيما عدا ذلك ، وهذا التباين في أسلوب ابن الخطيب بين البسط والإيجاز استغلق أمره على بعض الباحثين فحسبوه اضطراباً في منهج التأليف لدى ابن الخطيب وما هو بذلك ، كما بيناه آنفاً.

ولقد أوضح البحث أن منظور ابن الخطيب يفسر أحداث التاريخ وفقاً لرؤية سياسة محضة بعيدة عن تأثير اجتماعي واقتصادي ، كما أن ابن الخطيب تحدث عن أهمية علم السياسة ، ولا غرابة في أن يكون منظور ابن الخطيب سياسياً فهو رجل سياسي مارس الحياة السياسية أثناء تقلده لعدة مناصب سياسية في الدولة النصرية بغرناطة .

وبجانب المنظور السياسي كان لابن الخطيب منظور ديني أتى به ليخدم فكرة كتابة؛ فمن خلاله حاول أن يؤصل شرعية حكم السلاطين الصبية وكافليهم وذلك بعرض جملة من أسماء العلماء والفقهاء الذين عاشوا في عصور السلاطين الصغار ولم ينكروا هذا النوع من الولاية ،كما حاول من خلاله أن يفسر

([1]) المقري ، **نفح الطيب** ، ج٧، ص ٤٦-٤٧

بعض حوادث التاريخ على أساس نزعة جبرية ،ليرجع تولية هؤلاء الصبية أمر المسلمين كله للخالق عزوجل بدون أن يكون للمخلوق قدره أو إرادة وإن كانت نسبية بحسب ما قدر الله له جل وعلا، وبذلك يحث الناس على التسليم بالأمر الواقع باعتباره قدراً مقدورا.

وتجلى في هذا البحث أن ابن الخطيب من خلال منظورة الديني رأى أن كتابة التاريخ وتدوينه له علاقة ماسة بالجوانب الدينية ؛ فشرف التاريخ وقفاً لرؤيته مستمد من احتفاظه بأحكام الشريعة الإسلامية ونقله لتاريخها وخصوصا لأخبار السيرة النبوية.

المصـــــــادر والمراجع

أ/ المخطوطات:

ابن الخطيب ، أبو عبدالله لسان الدين محمد بن عبدالله (ت٧٧٦ه) :

١ _ **أعمال الاعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام** ،مخطوط الرباط ، الخزانة العامة ، رقم (١٥٥٢د).

ب/ المصادر :

ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت٦٣٢ه) :
١-**الكامل في التاريخ** ، (بيروت : دار صادر ، ١٣٩٩ه/ ١٩٧٩م)
الإدريسي، أبو عبدالله محمد عبدالله الحموي (ت٥٦٠ه) :
٢-**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩ه)
البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ه) :
٣-**الجامع الصحيح** ، بإشراف ومراجعة صالح بن عبدا لعزيز آل الشيخ ، (الرياض : دار السلام ، ١٤٢١ه)
ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ه) :

٤ -**الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم** ، نشره عزت العطار الحسيني ، ط٢ ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٤ه/ ١٩٩٤م)

البلاذري ،أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ه):

٥-**أنساب الأشراف** ، (بغداد : مكتبة المثنى ، د.ت)

ابن بلقين ، عبدالله :
٦- **مذكرات الأمير عبدالله المسماه بكتاب التبيان** ، تحقيق ليفي بروفنسال ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٥م)
ابن الخطيب ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد (ت ٧٧٦ه) :

٧- **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤ه)

٨- **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** ، مخطوط الرباط ، الخزانة العامة ، رقم (١٥٥٢د) .

أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق سيد كسروي ،(بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م)، الجزء الأول

أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ،(بيروت :دار المكشوف،١٩٥١م) ، الجزء الثاني

أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ،(الدار البيضاء :دار الكتاب ، ١٩٦٤م) ، الجزء الثالث.

٩-**اللمحة البدرية في الدولة النصرية** ، (بيروت : دار الآفاق ، ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م)

ابن خلدون ، عبدالرحمن (ت ٨٠٨ه) :

١٠- **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،(بيروت : دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م)

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦ه) :

١١-**الفصل في الملل والنحل والأهواء والنحل** ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٦ه/ ١٩٨٦م)

ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩ه) :

١٢- **نصوص من كتاب المتين ، تحقيق عبدالله محمد جمال الدين** ، (القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ١٤١٨ه/ ١٩٩٧م)

الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧ه):

١٣-**الروض المعطار في خبر الأقطار**، (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٤٨م)

ابن سعيد ، علي بن موسى :

١٤- **المغرب في حلى المغرب** ، تحقيق شوقي ضيف ، (القاهرة : دار المعارف ، د.ت)

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨ه):

١٥- **الملل والنحل** ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ،(القاهرة :د.ن ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٩م)

الصفدي ، صلاح الدين خليل أيبك :

١٦-**الوافي بالوفيات** ، تحقيق ، أحمد الأرناؤوط وآخرين ، (بيروت : دار إحياء التراث ، ١٤٢٠ه/٢٠٠٠م)

الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٧) :

١٧- **تاريخ الرسل والملوك** ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت)

ابن عذاري، أحمد بن محمد (ت ٧١٢ه) :

١٨-**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق جورج كولان وليفي بروفنسال ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م)

الماوردي : أبو الحسن علي محمد حبيب (ت ٤٥٠ه):

١٩- **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** ، (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م)

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٥ه):

٢٠- **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، (د.م ، د.ن ، ١٤٠٦ه/ ١٩٨٦م)

المقري ، أحمد بن محمد التلمساني (ت ٩٨٦ه) :

٢١- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب** ،تحقيق إحسان عباس (بيروت : دار صادر ،١٣٨٨ه)

المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ه) :

٢٢- **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا** ، تحقيق جمال الدين الشيال ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، د.ت)

٢٣-**المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**،(القاهرة : المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، د.ت)

الناصري السلاوي ، أحمد بن خالد(ت ١٣١٤م) :

٢٤-**الاستقصالأخباردولالمغربالأقصى** ، (الدار البيضاء : دار الكتاب ، ١٤١٨م)

ياقوت ، شهاب الدين أبو عبدالله الحموي (ت ٦٢٦ه):

٢٥- **معجم البلدان** ، (بيروت : دار صادر ، د.ت)

أبو يعلى الفراء ، محمد بن الحسين :
٢٦-**الأحكام السلطانية** ، (القاهرة : د.ن ، ١٣٨٦ه/ ١٩٦٦م)

المراجع العربية والأجنبية :

أحمد مختار العبادي :

١-" لسان الدين ابن الخطيب وكتاباته التاريخية " **مجلة عالم الفكر** ، الكويت ، العدد٢، ١٩٨٥م،

اميلوغرسية غومث ،
٢- **مع شعراء الأندلس والمتنبي (سير ودراسات)** ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ،(د.م : دار المعارف ، ١٩٨٥م)
أمين توفيق الطيبي :
٣- "لسان الدين ابن الخطيب مؤرخاً ثبت في فترة ملوك الطوائف "، **مجلة كلية الآداب** ، تطوان ، العدد الثاني ، ١٩٨٧م
حسن إبراهيم حسن :
٤- **الفاطمي ونفي مصر** ، (القاهرة : المطبعة الأميرية ، ١٩٣٢م)
حسن الوراكلي :
٥-" لسان الدين ابن الخطيب في آثار الدارسين " ، **مجلة عالم الفكر** ، الكويت ، العدد الرابع ، ١٩٨٨م
حسين مؤنس :
٦-**رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود** ، (القاهرة : د.ن ، ١٩٦٣م)
سيدة إسماعيل كاشف :
٧- **مصر في عصر الإخشيدين** ، (القاهرة : د.ن ، ١٩٩٠م)
عبدالرحمن علي الحجي :
٨- **أندلسيات** ، (بيروت : د.ن ، ١٣٨٨ه/ ١٩٦٩م) ، المجموعة الأولى

ليفي بروفنسال:

٩-**تاريخ إسبانيا الإسلامية** ، ترجمة علي عبد الرؤوف وعلي إبراهيم ، (القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠م)
محمد أحمد محمد :
١٠- **الأحداث السياسية في مصر الإسلامية** ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤١٥ه/ ١٩٩٥م)
محمد جمال الدين سرور :
١١- **تاريخ الدولة الفاطمية** ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٩٥م)

محمد زكريا :

١٢- " من أعلام فن التوشيح في الأندلس لسان الدين ابن الخطيب ، **مجلة كلية الآداب** ، الإسكندرية ، ١٤١٤ه/ ١٩٩٤م

محمد زنيبر :

١٣- " ابن الخطيب والتجديد في المنهج التاريخي "، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، بالرباط ، العدد ٢ ، ١٩٧٧م
محمد عبد الوهاب خلاف
١٤-رؤية جديدة لأسباب سقوط الخلافة الأموية في الأندلس ، " **المجلة العربية للعوم الإنسانية** ،الكويت ،جامعة الكويت العدد السادس ، ١٩٨٢م
محمد بن عبود:
١٥- " لسان ابن الخطيب مؤرخاً للأندلس في عهد الطوائف "، **مجلة كلية الآداب** ، تطوان ، العدد الثاني ، ١٩٨٧م
مصطفى طه بدر :
١٦-**مصر الإسلامية** ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٤م) .

يوسف العش :

١٧- **الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها** ، (دمشق ، لبنان ،: دار الفكر ، دار الفكر المعاصر ، ١٩٨٥م)

Anwar cheje :18- **MuslimSpain**, **ItsHistoryandculture**(Minneapolis: The University of Minnesot ,1974

Ibn Al-Khatib Historical Perspective Through his Book, Entitled "A'a'mal Ala'a'lam fimn bouia' kbl alahtlam mn mlouk Alislam"

Dr. Nawal Farhan Muhammad Al-Khaldi - King Faisal University - Al-Ahsa - Kingdom of Saudi Arabia

This research aims to study Ibn Al-Khatib analysis of historical events through his book "a'a'mal ala'a'lam", as it, in the general Islamic history, addressed all of those who assumed power and he did not attain puberty yet from (the first century to the eighth century AH). The idea of the book and the perspective of its author are related to the motives for its authorship, as Ibn Al-Khatib was a refugee with the Sultan (boy) Al-Marini Abi Ziyan Muhammad Al-Saeed and his guardian bin Ghazi, so he wrote this book as a compliment for them. For this, he brought the Andalusian experience in the era of Caliph Hisham al-Muayyad and his guardian Muhammad ibn Abi Amer, whose era was one of the strongest and brightest times of Andalusia, to demonstrate that the assumption of boys does not impede the prosperity of countries. He tried to legalize them, so he cited examples from the Umayyad Era due to its proximity to the era of the first generation. In those eras, he also tracked the scholars who were busy with scientific production without being bruised because their Ruler is a boy. Ibn al-Khatib analyzed the events based on a political perspective, and a number of events that he politically explains were presented in the research stemming from his personality as a minister and the nature of his way of thinking, or a religious perspective that was stained with some compulsory tendencies, and the appearance of this religious perspective was to deny the accusations attached to him such as heresy.

Key words : Ibn Al-Khatib - Manzoor - Al-Andalus - Business - Media